بيت الروايات والحكاوي المصرية

غلاف : أمنية محمد

غروب

قصة قصيرة

شيماء يحيي

قصة قصيرة

غروب

شيماء يحيى الغنيمي

تصميم غلاف: أمنية محمد

تصميم داخلي وتنسيق: شيماء يحيى

نوع العمل: قصة قصيرة

اسم العمل: غروب

الكاتبة: شيماء يحيى الغنيمي

«غـــــروب»

قد توارت الشمس، دخلت في أحضان السماء؛ فآتى الغروب بثوبه الأسود يكسوى الليل بظلمته، ففي الغروب نمضي فيه يكمن الصمت وحكايات الشوق.

نلتقي في غروب مجهول حيث الظلام يتم فيه تضييع الأحلام ونتوه في الصمت الهارب، نرسم من الخيال حكايات.. حكايات تُحكى لنا وكأننا نعيش فيها، يَقصها علينا من نعشق حكاويهم لنا.

كانت تجلس الجدة على الأريكة بعدما أدت صلاة العشاء تُسبح وتستغفر ربها، بعد لحظات طرق أحدهم باب غرفتها فإذا به يوسف أصغر أحفادها وكان في العشرين من عمره، فتحت ذراعيها لتضمه، فقفز بين أحضانها وكأنه طفلًا في الخامسة من عمره وليس شابًا، أخذت الجدة أمال ترطب على ظهره وهي تُتمتم ببعض الأدعية التي دائمًا ما تدعو بها لأحفادها.

قال يوسف ومازال بين أحضانها الدافئة وابتسامته لا تغادر فاه:-

_ يا جدتي أكنتي ستخلدين إلى النوم قبل أن تحكي لي حكاية كل مساء؟

ضحكت الجدة وقالت:-

_ ألم تكبر على هذا يا يوسف فأولاد أخواتك الصغار لا يطلبون أن أحكي لهم أيًا من حكاياتي، فهم يمتلكون عقلًا ناضجًا أكثر منك يا حفيدي.

_ لا يا جدتي مهما بلغ بي العمر لن أسئم من حكاياتك، فأنتِ بالنسبة لي كدقات قلبي التي أحى بها فبدونك ليس ليوسف وجود، فأنا صغيرك وسأظل صغيرك إلى الأبد، هيا يا جدتي أحكي لي هيا فأنا متشوق لحكاية الليلة كثيرًا.

ابتسمت الجدة والدموع تملأ عينيها وقالت:-

_ حسنًا يا صغيري سأحكي لك.

تمدد يوسف على الأريكة ووضعه رأسه على قدم الجدة وبدأت الجدة تقص عليه حكاية ككل ليلة.

كان يوسف شارد في ملامح جدته وكأنه إلتقى بها للتو، كان ينظر لكل إنشا في وجهها، ويقول في نفسه وراء كل هذه التجاعيد حكايات، ولكنها ليست بقصص تُحكى فقط؛ بل كانت تجارب وكل واحدة من هذه التجاعيد خلفها قصة حدثت بالفعل، وكلهم تجمعوا ليحفروا معالم وجهك الجميل يا جدتي الغالية، فهذه التجاعيد تجعلك ملكة جمال بدون أدنى شك، فيكفي أنكِ تمتلكين قلبًا كورد الياسمين.

انتبهت الجدة ليوسف وهو شارد وهزته من كتفه وقائلة: -

_فيما شردت يا يوسفي؟

استقام يوسف في جالسته قائلًا:-

_شردت في ذات الحسن يا جدتي.

ضحكت الجدة وقالت:-

_أتحب يا يوسف؟

_نعم يا جدتي إني عاشق لامرأة سكنت فؤادي وتربعت على عرشه، قد سحرتني بجمالها وطيبة قلبها، وعذوبة صوتها وهي تتحدث معي.

قاطعته الجدة قائلة:-

_ ألهذا الحد تعشقها! قد أخذت من الحظ نصبها عندما وقع في غرامها حفيدي، قل لي من هي ألا تريد أن تخبر جدتك؟

قال يوسف مُبتسمًا:-

_ ولمَ أقول لها يا جدتي وهي معنا الآن؟

نظرت الجدة حولها ثم قالت:-

_ أين هي يا صغيري، أتركتها واقفة خارج الغرفة كل هذا؟

_قهقهة يوسف بشدة ودخل في أحضان جدته وقال:-

_ لا يا جدتي لم أتركها بالخارج فهي هنا وأنا الآن بين ذراعيها.

شعرت الجدة بسعادة تغمر قلبها، فحب يوسف لها لا يضاهي حبه لأحد غيرها، رطبت على ظهر وقالت:-

_أتحبني كل هذا الحب يا صغيري؟ فلتترك شيئًا لوالديك.

قال يوسف:-

_ أنتِ أبي وأمي وكل من لي يا جدتي، فأنا بدونك ضائع، كطير غادر وطنه ولم يعرف طريق العودة، فأصبح شريد لا هو يعرف سبيل الديار ولا بمأوئ له يحميه من الحياة.

وضعت الجدة يديها على كتف صغيرها يوسف قائلة:-

_ لم أرى حبًا من أحدٍ كما رأيته منك يا صغيري فوالله أنت في قلبي، بل أنت قلبي يا يوسفي، فالكل عاشق حبيب، وأنت حبيب فؤادي يا صغيري، لكن قل لي يا يوسفي ألا توجد فتاة تحبها؟

_ وكيف أعرف أنني أحب يا جدتي، وما هو العشق؟

_ العشق يا صغيري اكسير هذه الحياة، وللعشق قواعد.

قال يوسف: وما هي قواعد العشق يا جدتي؟

ردت الجدة قائلة:-

_ قواعد العشق تمكن في بضعة كلمات يا صغيري، الاهتمام، الأمان، الاحترام، التقدير، المسامحة.

عندما تحب يا يوسفي يجب أن تعطي للمرأة التي أحببتها هذه الأشياء، فبدونها لا تكتمل أي علاقة من العلاقات.

_ تأتي بأولهم وهو الاهتمام، فكن يا صغيري مهتمًا بها وبكل ما يخصها.

قاطعها يوسف ضاحكًا:-

_ أتقصدين يا جدتي أن اهتم بمساحيق التجميل الخاصة بها، وبفرشة أسنانها أين وضعتها، وبحذائها التي تحبه وملابسها وكل هذه الأشياء السخيفة؟

نظرة الجدة بعتاب ليوسف فسكت واستكملت هي حديثها قائلة:-

_ لا يا يوسف ليست هذه الأشياء بسخيفة فهذه الأمور بالنسبة لأي امرأة بمهمة، ومن يهتم لأمرها يجب أن يهتم لأمر الأشياء التي تحبها، ولا يستخف أو يقلل منها، ولا يكمن الاهتمام في هذه الامور فقط، بل في كل جوانب حياتها، سواء كانت بصغيرة أو كبيرة، يا صغيري لو أهملت من تحب، من سيهتم به، هي إختارتك أنت فلا تخذلها يومًا.

_ صدقتي يا جدتي، فوالله إن الخذلان ممَن نحب لهو من أشد الآلام.

_ أحسنت يا صغيري، فحذاري أن تخذل من أحببت.

_ أما الأمان فهو عمود أي علاقة فبدونه لا يوجد حب ولا صداقة ولا أي شيء، عندما يأتمنك شخصًا على نفسه فلا تخنه، لكن كن على قدر ثقته بك، ولا تعطي إلا الأمان لمحبوبتك فهي أمانتك على قلبها، فإياك أن تخونه أو تؤذيه، وإن أردت الرحيل، ارحل، لكن بدون جرح يترك أثرًا في فؤادها.

_ وكيف أعطيها الأمان يا جدتي؟

أن تأمنك على سرها فلا تفشيه، أن تأمنك على مالها فلا تضعيه، أن تكون لها خير سند في هذه الدنيا الخائنة، فتتكئ عليك من غير خوف، تكون لها عونًا لها، لا عبئًا عليها، تكون لها الأخ والصديق قبل الحبيب، وأعلم

يا صغيري أن المرأة إذا أحبت، فإنها تحب بكل غالي ونفيس، تثق وتعطي الأمان فلا تردها يومًا خائبة الأمل فمن عشقت.

_ فماذا عن الإحترام والتقدير يا جدتي؟

_ هما يا صغيري أساس من أسس العلاقات، فما بُني على إحترام وتقدير فله أن يعيش طويلًا، فعلاقتك بمن أحببت إن لم يسودها التقدير والإحترام ستنتهي سريعًا كبرقٍ ظهر في السماء، فأحدث ضجيجًا لبرهة، وعاد من حيث آتى، تمكن لذة العلاقات في الإحترام المتبادل بينهما الكثير منها يُنى على التقدير والإحترام ويوجد علاقات تستمر بهما، فيكفي أن يقدر بعضكم البعض هذا كافي لاستمرار حبكما، كن حريصًا عليها وعلى قلبها.

_ أما عن المسامحة، فسامح وصافح، ولا تدع ما يعكر صفو علاقتكما، فكل شيء زائل وحبكما باقٍ، كن معها لا عليها، كن عونًا لها، لا تكن شوكة في حلقها، لا تدع أي شيئًا يعكر صفو حبكما، فالأيام معدودة والعمر قصير واليوم الذي يذهب لا يأتي غيره، ولا ندري كم من العمر سنحيا! فإن كنا سنحيا يومًا آخر؛ لنعشه بكل حبٍ وسلام، فلاحظات الحب تُطيل العمر آلاف السنوات، لا تدع الحُزن والهجران يخيما على حياتك، فلتدع أبواب السعادة والفرح والعشق مفتوحة على مسارعيها، ولتغلق أبواب الحُزن وتلقي بمفاتيحها في أقصى المحيط، فلا ندري أي يومٍ سنفارق من نحب، فلنعش كل لحظة وكأنها الأخيرة، لنأخذ منهم ذكريات نعش عليها بعد رحليهم، ولتكن جميعها ذكريات جميلة، فنحن نريد أن نحيا على ذكرى

سعيدة معهم لحين أن نلتقي بهم في مكانًا أفضل حيث الأبدية والسعادة الدائمة، حيث الفرح والسرو، فمن يدري متى سنفارق أحبتنا، لنجعل كل لحظات حياتنا مليئة بالفرح، نُخلد ذكراهم بين ثنايا قلوبنا بصورة ألوانها تشع ابتسامات وفرح.

كان يوسف يستمع لجدته ودموعه تملأ عينيه، فحديثها لمس قلبه، حقًا لنعش بسعادة من يدري أي يومًا سنرحل ومن سيرحل أولًا.

ابتسمت الجدة بحب ليوسف قائلة:-

_ أتمنى كثيرًا أن أرى من سيقع في غرامها صغيري ذو العيون العسلية، فهي ستنال أحن قلبًا في الدنيا.

رد يوسف ومازال متأثرًا بكلام جدته:-

_ أنتِ من سيختارها يا جدتي، فأنا أريدها مثلك في طيبة قلبك وجمال روحك.

ردت الجدة وهي تشاور على قلب يوسف:-

_ لا يا صغيري هذا من سيختار محبوبته لا أنا ولا أنت، فالقلب دائمًا رأيًا آخر في أمور العشق، فهو على دراية كاملة بها، فمن سيختارها قلبك ستكون ملكة متوجة على عرشه يا يوسفي.

قال يوسف:-

_ هكذا تتهربين من اختيار زوجة حفيدك، قولي لي من أين تعملتي أمور المكر هذه واللعب بالكلام يا جدتي.

ضحكت الجدة قائلة:-

_ ستظل هكذا دائمًا تحول كل أمور الجد إلى مزح، يا لك من طفل في عمر العشرين! هيا قم اذهب إلى غرفتك، قد تأخير الوقت كثيرًا وأنا أريد أن أخلد إلى النوم، فإني أشعر بالنعاس من بعد العشاء، وبفضلك حل منتصف الليل ولم أنم.

_ حسنًا يا جدتي سأذهب إلى غرفتي وأدعكِ تنامين، لكن لحديثنا باقية في الغد.

ردت الجدة قائلة:-

_ إن كان يوجد غد يا صغيري فلا نعلم هل سنستيقظ غدًا أم سنرقد طويلًا؟

قاطعها يوسف قائلًا:-

_ لا تتفوهي بهذه الحديث مرةً أخرى يا جدتي فإنه يشطر قلبي نصفين، وقَبل بعدها يديها ورأسها.

ردت الجدة وهي تتمت بالدعاء وقالت:-

_ خذ بيدي إلى الفراش يا صغيري.

أخذها يوسف إلى الفراش، وساعدها على التمدد عليه ودثرها بالغطاء جيدًا، ثم أطفئ نور الغرفة وذهب لغرفته.

هنا فاق يوسف من شروده على يد تداعب شعره؛ ولكنها ليست بيد جدته، بل والدته وهي توقظه لصلاة الفجر ظنت أنه نائم، لكنه كان شارد في أخر ليلة له مع جدته، قد توفها الله في هذه الليلة التي كانت بها مع يوسف، قد كانت آخر ليلة تجمعه معها، ومن ذلك الوقت وهو لا يفارق غرفتها رغم أنه مَر على وفاتها عامين، أصبح في تلك الفترة لا يريد شيء سوى المكوث في غرفة جدته.

قالت الأم:-

_ هيا يا بني لتأدية صلاة الفجر في المسجد، قام يوسف وقبل أن تراه أمه مسح الدموع التي تغرق وجهه وقام لكي يتوضى، وقبل أن يذهب للمسجد نظر لصورة جدته، وطال النظر في ملامح وجهها التي اشتاق إليه كثيرًا، شرد يوسف في الصورة قائلًا:-

_ يا عذاب فؤادي من بعد فراق محبوته، ويا ويل روحي تحترق من فرط الألم، قد دأب جسدي حزنًا من بعد رحيلكِ، وأصبح الوجع يعصف بي، فلمَ الفراق يا من سكنتِ الروح قبل القلب؟

لمَ الرحيل إذن وأنتِ تعلمين أنكِ روحًا أحيا بها، وقلبًا ينبض بداخلي؟ يا أول دقة قلبِ لي ذهابكِ عني كان موتي، فتالله إني أحيا حياة الأموات، جسدٍ منهك، قلبًا مزقه الألم، روحًا تصرخ من فرط الأحزان، أترين ماذا فعل رحيلكِ بي؟ يا أول حب طرق باب فؤادي، أنا قد مللت الحياة بفراقكِ، فما عشقت سواكِ، وما هوى الفؤاد إلكِ، لمَ الرحيل يا قرة عين صغيرك؟

فياليت الموت يُريح قلبًا قد بات يحيا بنيران الشوق لرؤياكِ، فحفيدكِ قد نال من الحُزن ما يكفي ألاف من الناس.

مسح دموعه التي ما جفت من يوم فراق جدته، وقرأ لها الفاتحة وخرج لكي يلحق الصلاة.

أثناء عودته نظر للسماء بحُزن يمزق داخله قائلا:-

_ ساعات قليلة وستشرق شمس يومًا جديدًا، لكنها سترحل، ويأتي الغروب محمل بالغيوم والظلام، فعند الغروب تُقلِّب الهموم، وتُحبس الدموع، تُفتح الذكريات، وتُسكب العَبرات من اشتياق طال، وحنين زاد، وفراق حال، وجرح غار، وحب ضاع؛ فخلف جفن الغروب عين نائمة بجوار من تحب، وعين تترقب عودة من تحب، وأخرى ملأها دمع الحنين لمن تحب.

يعلمنا الغروب أنّه لا بد من الرحيل، سيرحل عنا من نحب وسنرحل يومًا عن من نحب، ولن يبقى سوى طيب الأثر.

تمت بحمدالله